علم المنهجية المدلولات والمستويات المعرفية

أ.د ي- قاسمي

التقديـم:

إن واقع البحث العلمي ومنهجياته في جامعاتنا و مراكز البحث المتخصصة **قائم و نشط** قياسا **لعدد المذكرات و الرسائل الجامعية المنجزة (مذكرات الماستر، رسائل الماجستير و الدكتوراه، و الأبحاث العلمية المشتركة.. وغيرها.) لكنها** في الغالب **لا ترى النور**، و أوراقها إذا ما تكومت قد تعادل مدينة مترامية الأطراف. قد يطول هذا الحديث عن **الأوضاع غير الصحية و لا السوية** التي تعاني منها جامعاتنا و يئن تحت وطأتها طلابنا و باحثينا.. من قبيل: **ضعف المراجعة و التقييم و قلة التحديث للمضامين، تخلف أساليب التدريس و بيداغوجياته، هزال و كلاسيكية المناهج المتبعة، ضعف التمويل و التجهيز العصري...** الخ. أكيد **هناك العشرات و ربما المئات** من **الطلبة الباحثين و العلماء** الذين يحاولون **تحدي هذا الواقع** الجامعي والبحثي المؤسف، لكن **الواجب العلمي، الوطني و الأخلاقي** يدعونا إلى التحلي **بالمسؤولية** و **مواجه أنفسنا بالحقائق إذا ما أردنا فعلا** البدء في **إعداد خطة و بناء مشروع بحثي تطبيقي** لتغيير هذا الواقع البائس؛ نحو **واقــع و مستقبل أفضل** لنا و للأجيال من بعدنا.

ضمن هذا المنظور وفي **سياق مقاربة علمية منهجية** نطرح في هذه **المحاضرة الاولى إشكالية مركزية** مفادها **" طبيعة علم المنهجية المدلولات والمستويات المعرفية ضمن نسق الدراسات الإنسانية والتاريخية خاصة":** المحتوى، المناهج و المنهجيات، الأهمية و الفعالية، العلاقات... سنجتهد في **معالجة الإشكالية** بقدر من **التجرد الذاتي و الموضوعية** العملية.

محددات منهجية للبحث العلمي

تقوم القراءة العلمية للمعطيات و المعارف بمختلف أنواعها من خلال مراعاة **ثلاثة عوامل** أو عناصر، ترتسم من خلال **ملامح التكوين** كما تتبلور **آفاق المعرفة** بصرف النظر عن نوعها؛ هي:

أولا: الميل الطبيعي أو **الرغبة الشخصية** المتولدة لدى الدارس أو الباحث، حيث تكبر وتتوسع لتنضج بعدها بفعل الدراسة، الاحتكاك الثقافي بالوسط المعرفي، و تراكم الخبرتين الوظيفية، العلمية والحياتية.

ثانيا: الزاد العلمي أو **الحصيلة المعرفية** التي يكتسبها الفرد من خلال التعلم والمطالعات وتداريب البحث الذاتي.

ثالثا: التدرب على الوسائل اكتساب المهارة الذهنية أو اليدوية، ومحاكاة فنون التعامل مع المنهج، فضلا عن التعمق في استعمال آلياته المتنوعة.. تلك التي تغذي إمكانية **التحليل العلمي و الموضوعي للمعطيات،** و معالجة المشكلات البحثية بشجاعة و كفاءة؛ عبر **ابتكار حلول منطقية** وظيفية **تنهي الأرق العلمي** لدى الباحث، و تمكنه من **طرح البدائل النهائية للإشكاليات البحثية المنهجية**.

أولا - مفاهيم ضرورية في علم المنهجية:

منهجية العلوم بهذا المعنى **تعني** في مفهومها البسيط: **" تلك الوسيلة العلمية التي تتيح للدارس و تمكنه من دراسة المعطيات والمعارف، واكتساب المهارات الضرورية للتعاطي معها نظريا و علميا."** و من ثم **القدرة على الجمع بين التصور الأدبي و النظرة الموضوعية في وقت واحد؛** بتقديم **تفسيرات علمية مقنعة** معبرة عن **الحقائق القائمة.** أو على الأقل **الجزء الأكبر** منها **وفق معايير المنطق و الموضوع** معا.

فالمنهجية البحثية بهذا المعنى هي: **"علم بالأصول و معرفة بالفروع "** تقوم على استثمار المعطيات، و **تهدف** إلى **توليد المعلومات** و **إنتاج المعرفة** التي تمكن من طرح الحلول للمشكلات القائمة.

إذا كانت المنهجية البحثية هي: **" علم بالأصول و معرفة بالفروع "** حيث تقوم على استثمار المعطيات، و **تهدف** إلى **توليد المعلومات** و **إنتاج المعرفة** التي تمكن من طرح الحلول للمشكلات القائمة. **فماذا نعني بعلم المناهج ؟**

1- علم المناهج: (1)

هو **"علم يهتم بدراسة مناهج العلوم من حيث : نشأتها و مبادئها، شروطها و خصائصها، تصنيفها و تحديد وسائلها، كيفيات و آليات تطبيقها على المعارف المبحوثة. "** أو هي:

"مجموع المناهج و التقنيات و فنيات إعداد البحث العلمي، و بالتالي توجيه و ترشيد الطريقة العلمية المتبعة في الدراسات و البحوث المعدة. "

2- محاور علم المنهجية: (1مكرر)

ينقسم **علم المنهجية** نظريا إلى **أربعة محاور كبرى** تتحدد من خلالها **أنواع المناهج و منهجيات العمل التطبيقي** لها هي:

1 / المناهج الفلسفية الشمولية:

هي **مناهج يستخدمها الباحثون في كل المعارف** لتحليل المعطيات، وبحث الحلول للإشكاليات المطروحة، على قاعدة كونها تمثل **المدخل النظري الفلسفي للتفسير**، و تستخدم كذلك في معالجة المشكلات الحياتية اليومية. ومنه اتخذت تسمية **" الشمولية. "**
أما من حيث **محتواها**، فهي تشتمل على ما يمكن تسميته **" نظرية البحث "**؛ و تتمثل في **مجموع المبادئ و المعتقدات و التصورات الفلسفية العامة للمشكلة..** وبالتالي **القوانين و القواعد التي تفسر في ضوئها حركة الإنسان و الوجود و الحياة**. و يرتبط الهدف من تناولها في تقديم تفسير حول علة حدوث الظواهر بصورة عامة، و من ثمة فهي تنطلق من **تصور فلسفي لحركة الوجود و الحياة**. و **تختلف** هذه المناهج **باختلاف التيارات الفلسفية، و الإيديولوجيات و المذهبيات الفكرية**... و **تنقسم** إلى **فرعين** هما :

أ / المنهج الميتافيزيقي او الماورائي: منهج يبحث في **المبادئ الروحية الاولى** التي لا تدرك بالحواس و التجربة، بل بالتأمل و الإستدلال العقلي المجرد.

ب / المنهج الجدلي: هو **علم فلسفي يبحث القوانين الأكثر عمومية** التي تفسر الطبيعة و حركة المجتمع على أساس **تدافع المتناقضات و تصارعها**.

و **يستخدم المنهجان** من قبل الباحثين **في جميع مراحل البحث العلمي**، بحسب الآلية المنهجية المتبعة.

2 / المناهج المنطقية المشتركة:

هي عبارة عن **مجموعة قواعد منطقية تحدد الإشكال و الصور السليمة للتفكير العلمي**، و توظف هي الأخرى في **مختلف العلوم الطبيعية و الإنسانية و الاجتماعية**. لكنها تختلف عن سابقتها في كونها

أ - **لا تتضمن معتقدات فلسفية حول الوجود**، بل تهتم فقط **بتنظيم عملية التفكير** السليم.

ب - لا تستخدم في جميع مراحل البحث، بل في **أجزاء منها** بحب الحاجة، و عددها كثير منها: **المنهج الاستدلالي، المنهج الاستقرائي، منهج الاستنباط، و منهج التحليل و التركيب**... الخ.

3 / المناهج العلمية المشتركة:

هي **مناهج** تتضمن على **قواعد منظمة و متناسقة** يلتزم و ينضبط بها الباحثون في بحثهم لأية ظاهرة خارجية(موضوعية)، **سميت بالعلمية** لاهتمامها **بالوجود الخارجي** للظاهرة المدروسة. **تستخدم في معظم العلوم** لكنها **لا تعتمد** في **جميع مراحل البحث** وتقصي الظواهر، بل في أجزاء منها. و عددها كثير منها: المنهج التجريبي، الرياضي، منهج الإحصاء، المنهج التاريخي...الخ

4 / المناهج العلمية الجزئية:

مناهج غالبا ما **تستخدم في علم بعينه**، أو **علمين مقاربين**، تتضمن **طريقة حصرية للبحث** في علم من العلوم تختص به، و قد **تستعار بصفة** جزئية في علوم أخرى. **كالمنهج القانوني المقارن** في العلوم القانونية، و **المنهج القانوني الشكلي**، إلى جانب **المنهج الوظيفي** في **علم السوسيولوجيا**، و **منهج دراسة الحالة** أو **العينة** في الدراسات الاجتماعية والاقتصادية و**منهج التحليل النفسي** في السيكولوجية ... وغيرها.

الهوامش:

(1) يوسف قاسمي، مذكرة دروس في منهجية البحث العلمي ، مقدمة لطلبة الدكتوراه (ل.م.د) سنة 2013 م، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية - جامعة قالمة الجزائر، ص 6

(2) نفسه .